فرقة التوحيديين: جذورها وعقائدها

الطالبة الدكتورة: أوعثماني صونيا
مخبر الدراسات العقدية ومقارنة الأديان
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية: قسنطينة

من رحمة الله تعالى بعباده أن أرسل إليهم الأنبياء والمرسلين لهدايتهم وتوجيهم إلى خالقهم، وتوحيده في ذاته وأسمائه وصفاته وعبادته وحده لا شريك له، وهذه الرّسالة هي رسالة جميع الأنبياء والمرسلين مصداقًا لقوله تعالى في سورة الأنبياء 25: (**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**) وحتى في التّوراة رغم تأكيد الدّراسات النّقدية على تحريفها مازال هناك بعض آثار وبقايا التّوحيد الخالص ويظهر ذلك –على سبيل المثال– في الوصية المذكورة في سفر الخروج 20: 3: "**لاَ يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي**" ونفس الأمر مذكور على لسان المسيح في العهد الجديد عندما أراد الشّيطان أن يجرّبه، متى4: 10: "...**حِينَئِذٍ قَالَ لَهُ يَسُوعُ: اذْهَبْ يَا شَيْطَانُ! لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ :لِلرَّبِّ إِلهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ**" ورغم هذا الإقرار من المسيح نفسه على توحيد الله ووجوب عبادته وحده لا شريك له والشّهادات الأولى المكتوبة عنه –المسيح– التّي تتطلّع دائمًا أن تظهره أنّه كان إنسان... هناك فئة من النّاس أرادت طمس هذه الحقيقة وسعت إلى اخفائها على مرّ العصور والسّنين وجعلت من المسيح إلهًا من دون الله، ودام الجدال بين من يقول ببشريته ومن بين يقول بألوهيته حوالي أربعة قرون إلى غاية مجمع نيقية حين تدخّل الأباطرة الرّومان في تقنين العقائد المسيحية لتحقيق مآرب شخصية وأخرى سياسية وتمّ الاعتراف بعقيدة التّثليث وألوهية المسيح والتصدّي لجميع الهرطقات التّي كان التّوحيد إحداها... ومن بين الشّخصيات التي قالت ببشرية المسيح

وتم اضطهادهم عبر العصور: بولس الشميشاطي أسقف أنطاكيا، الأسقف لوسيان الأنطاكي أستاذ أريوس والأستاذ الشهير آريوس أسقف كنيسة بوكاليس في الأسكندرية، ويوسبيوس النيقوديمي أسقف بيروت... لكن رغم تصدي الباباوات لوقف هذه الحركات في كلّ عصر إلّا إنّها لم تختف ومازالت آثارها باقية إلى اليوم حيث ظهرت في القرن السّادس عشر الأفكار التّوحيدية لدى العديد من اللّاهوتيين في بولاندا وورومنيا، المجر، إنجليترا ثمّ انتقلت فيما بعد إلى شمال أمريكا أين تأسّست الجمعية التوحيدية الأمريكية على يد: **القسيس الأمريكي ويليام إيليري تشانين William Ellery Channing (1780-1842)** الذي كان له الفضل في تطوير وإرساء دعائم **الكنيسة التوحيدية Church Unitarian** في أمريكا وبريطانيا التي تعتبر الموحدين القدامى والفرق الموحّدة القديمة جذورها وسلفها الصالح واستمرار للحركة السوسيانية التوحيدية التي ظهرت ونمت في القرن السادس عشر والتي مثّلت في الواقع أول انطلاق للكنيسة التوحيدية في العصور المتأخرة، ونظرًا لأهمية الموضوع المتمثّلة في بيان أصول المسيحية على حقيقتها وكما جاء بها المسيح عليه السّلام تتضح لنا الإشكالية الرّئيسة للبحث: ماهي جذور فرقة الموحّدين؟ من هو مؤسّسها وماهي أهم معتقداتهم وأفكارهم؟ وللإجابة على هذه الإشكالات اعتمدنا المنهج التّاريخي والمنهج الوصفي لملاءمتهما لموضوع بحثنا ومن بين النقاط التي سنتطرق لها في ثنايا البحث:

- التعريف بفرقة الموحدين.
- **التأسيس:** أبرز الشّخصيات التوحيدية في تاريخ المسيحية ودورها في نقل الاتجاه إلى أمريكا.
- الأفكار والمعتقدات.
- عددهم وأماكن انتشارهم.
- وخاتمة.

التّوحيد في التّاريخ المسيحي:

إنّ التّوحيد في المسيحية ليس وليد القرن الثّامن عشر بل تمتدّ جذوره إلى عصر المسيح وكيف آمن به تلاميذه كرسول ونبي قبل تقنين عقيدة التّثليث في مجمع نيقية في القرن الرّابع

ميلادي ولمعرفة أصول فرقة التّوحيديين سنعرض في هاته الجزئية أهم الفرق والطوائف المسيحية المؤمنة ببشرية المسيح على مر القرون كما يلي:

- **التّوحيد قبل مجمع نيقية:**

نشأ الجيل الأوّل بعد المسيح مؤمنًا بتوحيد الله وعبودية المسيح وأنّه كان نبيًّا ورسولًا ويظهر ذلك في ما سطّره الإنجيليون والقديسون بما فيهم بولس من نصوص موحّدة[1] ونعرض هنا بعض الفقرات من العهد الجديد التي تبيّن بقايا التوحيد فيه:

التوحيد في العهد الجديد: ونقصد هنا الأناجيل والرّسائل المعترف به كنسيًا، فرغم التناقضات الواقعة في هذه الكتب واستبدال عقيدة التّثليث الدّخيلة بعقيدة التّوحيد الأصلية إلّا أنّ هذه الكتب لا تخلو من النّصوص التّي تصرّح بوحدانية الله وبشرية المسيح ونذكر هنا بعض نصوص العهد الجديد والتي تعدّ أساسًا لنشأة الفرق والطّوائف المسيحية الموحّدة عبر التّاريخ المسيحي باعتبار أنّ النّص الديني هو أساس نشأة الفرق والطوائف الدينية، ورغم محاولة رجال الدّين قمع هذه الفرق القائلة ببشرية المسيح إلّا أنّ صداها باقٍ إلى يومنا الحالي في أغلب مناطق العالم، ومن بين تلك النصّوص الدّالة على بشرية المسيح نذكر نص واحد من كل إنجيل كما يلي:

ورد في أنجيل متى أنّ إبليس طلب من المسيح أن يسجد له من دون الله حينئذٍ قال له يسوع[2]: "**اذْهَبْ يَا شَيْطَانُ! لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ**"[3] وفي إنجيل مرقس جاء أحد الكتبة يسأل يسوع عن أوّل وصيّة في النّاموس فأجابه يسوع: "**إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا هِيَ: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ. الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ**"[4] وفي أنجيل لوقا يناجي المسيح ربّه

1- منقذ بن محمود السقار، الله جلّ جلاله واحد أم ثلاثة،(سلسة الهدى والنّور) مكة المكرّمة، دط، 1424هـ، ص115.

2- محمد أحمد الحاج، النّصرانية من التّوحيد إلى التّثليث، القلم، دمشق، ط1، 1992م، ص 74.

3- متى4: 15.

4- مرقس12: 29.

فيقول: "**أَحْمَدُكَ أَيُّهَا الآبُ، رَبُّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**"[1] وكذلك الحال في إنجيل يوحنّا، فإنّ المسيح يرفع عينيه نحو السّماء فيقول: "**وَهذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ**"[2] هذه بعض الأمثلة فقط وأمثالها كثيرة في الأناجيل وفي رسائل بولس جاء: "**لأَنَّ اللهَ وَاحِدٌ**"[3] وفي الرّسالة إلى أهل غلاطية: "**وَأَمَّا الْوَسِيطُ فَلاَ يَكُونُ لِوَاحِدٍ. وَلكِنَّ اللهَ وَاحِدٌ**"[4] وفي رسالة يعقوب: "**أَنْتَ تُؤْمِنُ أَنَّ اللهَ وَاحِدٌ. حَسَنًا تَفْعَلُ**"[5].

لا يخفى على أحد أنّ المسيحية اشتقّت من اليهودية يقول يسوع لتلاميذه: " **لَمْ أُرْسَلْ إِلاَّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ**"[6] واليهودية صارمة في عقيدة التّوحيد: "**ثُمَّ تَكَلَّمَ اللهُ بِجَمِيعِ هذِهِ الْكَلِمَاتِ قَائِلاً أَنَا الرَّبُّ إِلهُكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ لاَ يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي لاَ تَصْنَعْ لَكَ تِمْثَالاً مَنْحُوتًا، وَلاَ صُورَةً مَا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ تَحْتُ، وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الأَرْضِ لاَ تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلاَ تَعْبُدْهُنَّ، لأَنِّي أَنَا الرَّبَّ إِلهَكَ إِلهٌ غَيُورٌ**" [7]

نلاحظ أنّ الطّريق الذي سار من أورشليم(مجمع التّلاميذ الأوائل) إلى نيقية حيث عقد المجمع المسكوني الأوّل لمحاولة الاتفاق على عقيدة واحدة بدلًا من تلك العقائد المتضاربة من النّادر القول بأنّه كان طريقًا مستقيمًا، فعقيدة التّثليث التي أقرّت في القرن الرّابع ميلادي لم تعكس بدقّة التّعليم المسيحي الأوّل فيما يتعلّق بطبيعة الله[8] لذلك نجد الكثير من المسيحيين لم يقبلوا التّثليث.

1- لوقا10: 21.

2- يوحنّا17: 3.

3- رومية3: 30.

4- غلاطية3: 20.

5- يعقوب2: 19.

6- متى 15:24.

7- خروج20: 1- 5.

8- أحمد عبد الوهّاب، طائفة الموحّدين من المسيحيين عبر القرون، ص9.

تقول دائرة المعارف الأمريكية: " **لقد بدأت عقيدة التّوحيد -كحركة لاهوتية- بداية مبكّرة جدًّا في التّاريخ، وفي حقيقة الأمر فإنّها تسبق عقيدة التّثليث بالكثير من عشرات السّنين**"[1] وهنا حاولنا أن نبيّن بعض الفرق والشّخصيات الموحّدة قبل مجمع نيقية كما يلي:

التّهودية: جماعة من اليهود عاشت في القرن الأوّل الميلادي تؤمن بالمسيحية دون أن يمنعها هذا الإيمان من استمرار ولائها للدّين اليهودي والشّريعة الموسوية وأصّروا على ضرورة اعتبار يوم السّبت يومًا مقدّسًا وضرورة الختان والإمتناع عن تناول الطّعام النّجس ولم يشعر هؤلاء اليهود الذين آمنو بالدّين الجديد بأي تعارض بين يهوديتهم وبين تحويلهم إلى الدّين الجديد بل لم يشعر هؤلاء أنّهم ينضوون تحت لواء دين جديد بل ظنوا أنّهم يشاركون في حركة أخلاقية إصلاحية تدعو إلى الطّهارة والنّقاء[2].

الأبيونية: يقول يوسابيوس القيصري عنهم أنّهم اعتقدوا في المسيح اعتقادات فقيرة ووضيعة، فهم يعتبرونه إنسانًا بسيطًا عاديًا، قد تبرّر فقط بسبب فضيلته السامية، وكان ثمرةً لاجتماع رجل معيّن مع مريم، وفي اعتقادهم أنّ الاحتفاظ بالنّاموس الطّقسي ضروري جدًّا[3] ولهذا أطلق عليهم اسم "أبيونيين" الذي يعبِّر عن فقرهم في التفكير، لأنّ هذا هو الاسم الذي يطلق على رجل فقير بين العبرانيين[4].

أتباع بولس السميساطي: أسقف أنطاكيا الذي نادى بأنّ المسيح مجرّد إنسان وصل إلى درجة الألوهية بكماله الخلقي، وأنكر أقنومي الابن والرّوح القدس، معتبرًا إياهما مجرّد قوّتين في الله كقوّتي العقل والتّفكير في الإنسان وقد حرّم على يد مجمع عقد سنة 262م[5].

1- نقلا عن أحمد عبد الوهّاب، طائفة الموحّدين من المسيحيين عبر القرون، مكتبة وهبة-دار التّضامن-،ط1 ،1980م ص9.

2- رمسيس عوض، الهرطقة في الغرب، سينا، القاهرة، ط1، 1997م، ص 18.

3- يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، تر: مرقس داود، القاهرة، ط2، 1979م، ص155.

4- المصدر نفسه، ص156.

5- رأفت عبد الحميد، الدّولة والكنيسة،(قسطنطين) ج1، 1974م، ص174م

الأريوسية: نسبة إلى القس اللّيبي أريوس المولود بشرق ليبيا عام 270م المعروف بقّوته في الحديث وجاذبيته في البحث والشّرح، درس الكثير من العلوم والمعارف ثمّ نزح إلى الإسكندرية حيث التحق بمدرستها اللّاهوتية المرقسية ومن أهم تعاليمه إنكار لاهوت المسيح وقوله أنّه مخلوق وغير مساوٍ للآب في الجوهر [1].

كانت هرطقة آريوس كما يسمّيها المسيحيون القطرة التي أفاضت الكأس خاصة بعدما بدأ بنشر أفكاره جهارًا ويعظ بالفقرة القائلة:**[أَبِي أَعْظَمُ مِنِّي]**[2] ومناديًا بأنّ المسيح غير مساوٍ للآب في الجوهر بل هو مخلوق بإرادة الآب، ولم تمض فترة حتى ذهب الكثيرون من أفراد الشّعب يشكون للبابا **ألكسندروس** أسقف الإسكندرية (313-326م) إنحراف أريوس عن الإيمان فجمع البابا مجمعًا محلّيًا بالإسكندرية سنة 319م يظهر للأريوسيين وجوب الرّجوع إلى الرأي السّليم، ومجمع آخر مكانيًا 321م حضره حوالي 100أسقف من مصر وليبيا حيث حكم بتجريد أريوس من رتبته الكهنوتية وحرّم كلّ أتباعه وتعاليمه الفاسدة[3] واستمرار أريوس بنشر تعاليمه أدى إلى انعقاد المجمع المسكوني الأوّل بمدينة نيقية في شهر مايو سنة 325م[4] ومن أهم قراراته التي فرضت على المسيحيين فرضًا: قرار المجمع "ألوهية المسيح" وأنّه من جوهر الله وطرد كل من يخرج على هذه العقيدة[5] ويعدّ هذا العام أوّل تاريخ يتّخذ فيه قرار ضد التّوحيد ويحكم بألوهية المسيح، فالمسيحية كانت قبل هذا المجمع قائمة على التّوحيد وكانت الأغلبية منهم من الموّحدين، ولكنّ المجمع فرض نفسه وفرض قراراته في قضيّة هي أخطر من أخطر قضايا العقيدة[6].

1- كيرلس الأنطوني، عصر المجامع(دراسة علمية وثائقية للمجامع المسكونية الكبرى الأربعة)، تن: ميخائيل مكسى إسكندر، مكتبة المحبّة، مصر، ط1، 2002م، ص42-44.

2- يوحنا14: 28.

3- كيرلس الأنطوني، عصر المجامع(دراسة علمية وثائقية للمجامع المسكونية الكبرى الأربعة)، ص46-47.

4- كيرلس الأنطوني، عصر المجامع(دراسة علمية وثائقية للمجامع المسكونية الكبرى الأربعة)، ص87.

5- سلطان عبد الحميد سلطان، المجامع النّصرانية ودورها في تحريف المسيحية، مطبعة الأمانة، القاهرة، ط1، 1990ن، ص91.

6- سلطان عبد الحميد سلطان، المجامع النّصرانية ودورها في تحريف المسيحية، ص96.

إنّ انتصار عقيدة التّثليث في مجمع نيقية لا يعني بتاتًا زوال واندثار عقيدة التّوحيد بل بقي لها أتباع في جميع العصور إلى يومنا الحالي يؤمنون بعقيدة التوحيد الخالص لله ورفض الخلط بين الله وبين المسيح رغم تفاوت تقديسها للمسيح[1].

التّوحيد بعد مجمع نيقية:

بعد محنة أريوس وتشتيت تلاميذه وقتلهم وبسط سلطان الكنيسة البولسية بسيف الإمبراطور ضعفت شوكة الفرق الموحدة ولكنّها لم تختف فقد عادت بعد أن اجتاحت ثورة الإصلاح الكنائس وضج الشعب من تسلط الكنيسة عليهم وثارت ثورته وهنا ضعفت الكنيسة فخرجت الطائفة الموحدة إلى ظاهر الأرض مرة أخرى وازدهر نشاط الموحدين في أوربا[2]، حتى أنّ ملك المجر **هوجون سيجموند** (توفي**1571م**) كان موّحدًا[3] وفي ترانسالفنيا ازدهر التّوحيد وكان من الموحّدين المشهورين **وفرانسيس دافيد**(1510م– 1579م) الذي عيّن عميدًا للمدرسة الكاثوليكية ثم تركها واعتنق البروتستانتية وانظم إلى معسكر كالفن بعد الانشقاق الذي حدث بين لوثر وكالفن حيث في ذلك الوقت لم تكن روح البحث كلية ممنوعة فسمح بالجدال في كل جانب من جوانب المسيحية ولم تكن الكنيسة الإصلاحية تتبع مذهبًا محدّدًا وكان هناك مكان للتّفكير الحر، كاد عقل دافيد يضطرب بسبب المبادئ العقدية التي تبنّتها الكنيسة خاصة عقيدتي ألوهية المسيح والتّثليث اللّتين لا يمكن تفسيرهما ولم يستطع أن يفسّر لماذا كلّ من يؤمن بهذه الأسرار بدون محاولة فهمها كان يعتبر مسيحيًا تقيًا، فهو نفسه ليس مستعدًّا أن يتّبع العقيدة بصورة عمياء وتدريجيًا توصّل دافيد إلى نتيجة مؤداها أنّ المسيح ليس إلهًا وآمن بوحدانية الله، وكان لهذا المعتقد أتباع كثر في بولندا وأصدر عام1566م عقيدة تظهر موقفه من التّثليث في ضوء ما رواه الكتاب المقدّس وفي هذه العقيدة تبرأ من المفهوم الدّيني للآب

1– أحمد عبد الوهّاب، طائفة الموحّدين من المسيحيين عبر القرون، ص11.

2–http://www.ebnmaryam.com/vb/t182161.html.01:01 يوم: 10/ 12/ 2018م، على الساعة

3– إبراهيم بن عبد الرّحمان الدميجي، المسيحية من التّوحيد إلى الوثنية، سلسلة: (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء)، دط، 1433هـ، ص17.

والابن والرّوح القدس[1]، وواجه الكنيسة التي اعتبرته مبتدعًا ومهرطقًا، فعزل من وظيفته الكنسية وحكم عليه بالسّجن إلى أن توفي[2]، وفي بوليونية ظهر **سوسنس** الموحّد، وكان له أتباع يعرفون بالسّوسنسيين وقد أنكروا التّثليث ونادوا بالتّوحيد[3]. وفي إسبانيا **ميكل سرفيتوس(1511- 1553م)** الذي صدم حين ألقى نظرة فاحصة على الكتاب المقدّس واكتشف أنّ مذهب التّثليث ليس له أي وجود فيه، واكتشف أكثر أنّ الكتاب المقدّس لا يؤيّد دائمًا تعاليم الكنيسة... وعندما أصبح عمره عشرون عامًا قرّر أن يعلن للعالم هذه الحقيقة التي اكتشفها[4]، كما يذكر المؤرّخون أنّه كان متأثّرًا إلى حدٍّ ما بأدب اليهود والمسلمين، إذا قرأ القرآن وشقّ طريقه في التأويلات التّلموذية وتأثر بنقد السّاميين للمسيحية (بصلواتها للثالوث ولمريم وللقدّيسين)باعتبارها شركًا، وكان يسوع في نظره رجل نفخ فيه الرّب الأب كلمة الله والحكمة الإلهية وبهذا أصبح ابن الرّب ولكنّه لم يكن كفوًا للآب أو سرمديًا مثله يستطيع أن يوصل روح الحكمة نفسها إلى الآخرين من النّاس: **"إنّ الابن أرسل من الآب بطريقة لا تختلف عن تلك التّي أرسل بها واحد من الأنبياء"** واستطرد سيرفيتوس ليستشهد برأي الساميين في القول بالثّالوث الأقدس: **" وكلّ من يؤمن بثالوث أقدس بروح الله يقول بوجود ثلاث أرباب"** وأضاف قائلًا: **" إنّهم ملحدون حقًّا باعتبارهم منكرين لوجود إله واحد"**[5].

1- محمد عطا الرّحيم، عيسى المسيح والتّوحيد(عرض تاريخي للمسيحية والأناجيل والموحّدين المسيحيين الأوائل والأواخر)، تر :عادل حامد محمد، دط، مركز الحضارة العربية، دس، ص133- 134.

2- محمد على البار، دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النّصرانية، دار القلم، دمشق، دط، دس، ص495.

3- ول ديورانت، قصّة الحضارة(الإصلاح الدّيني)،ت: عبد الحميد يونس،دار الجيل، بيروت،دس، ج24، ص240.

4- محمد عطا الرّحيم، عيسى المسيح والتّوحيد(عرض تاريخي للمسيحية والأناجيل والموحّدين المسيحيين الأوائل والأواخر)، تر :عادل حامد محمد، دط، مركز الحضارة العربية، دس، ص120.

5- ول ديورانت، قصّة الحضارة(الإصلاح الدّيني)،ت: عبد الحميد يونس،دار الجيل، بيروت،دس، ج24، ص240-241.

ثمّ ظهرت جمعيات تحارب التّثليث منها الحركة المضادة للتّثليث في شمال إيطاليا في أواسط القرن السّادس عشر تلتها الحركة المعادية للتّثليث التّي ترأسّها الطّبيب المشهور **جورجيو بندراتا**(1558م) وفي عام1562م عقد مجمع وكان القسس فيه يتكلّمون عن التّثليث فيما كان غالبية الحضور منكرين له، وفي القرن السّابع عشر قويت بعض الكنائس الموحّدة على قلّة أتباعها وأصدر الموحّدون عام 1605م مطبوعًا مهمّا جاء فيه: **"الله واحد في ذاته والمسيح إنسان حقيقي والرّوح القدس ليس أقنومًا"** وفي عام 1658م صدر مرسوم لجماعة موحّدة في إيطاليا وكان من روّاد التّوحيد في تلك السّنين **جون بيدل** (1616م– 1662م) الذي نادى بالتّوحيد بعد أن حصل على الماجستير من جامعة أوكسفورد عام 1641م وعيّن مديرًا للمدرسة الحرّة وقد أدّت مناداته بالتّوحيد إلى سجنه مرّتين، وكان لكتابات الفيلسوف والأديب الإنجليزي **جون لوك** (1632م–1704م) تأثير قوي على معاصريه من المفكّرين وكان لوك ينادي بأن يفهم الكتاب المقدّس في إطاره التّاريخي ولم يصرّح لوك بالتّوحيد وقال الدّكتور **صموئيل كلارك** (1675–م1729م) في كتابه: "عقيدة التّثليث من الأسفار": (إنّ الآب هو الإله الأسمى، وأنّ المسيح أقلّ منه مرتبة)، ولكّنه لم يصرّح أيضًا بالتّوحيد[1]، وسمي أبو التّوحيد الإنجليزي وكان قد توصّل بعد دراسة عميقة إلى الشّك في عقيدة التّثليث فجهر بذلك وسجن مرّتين ثمّ نفي إلى صقيلية[2] وفي القرن الثّامن عشر غلبت تسمية هؤلاء الموحّدين بالآريوسيين، ومنهم الدّكتور **تشارلز شاونسي**(توفي 1787م) راعي كنيسة بوسطن وكان يراسل الآريوسيين الإنجليز [3]. وكان **لجيمس مارتينو**(1805–1900م) دور كبير في توضيح أنّ الكتاب المقدّس كتب بأقلام بشر عاديين ليسوا معصومين من الخطأ، وأنّ يسوع الممجد ليس أكثر من إنسان، ويعتبر **ثيوفلس ليندساي**(1732–1818م) من معارف **جوزيف بريستلي**(1733م– 1804م) ومن المؤيّدين له وأسّس كنيسة خاصة للموّحدين وقد انظم إلى حركة الموحّدين هذه **توماس بلشام**(1750م–1829م) الذي كان قد عيّن في منصب ديني بكلّية هانكي وتأسّست جمعية

1- محمد على البار، دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النّصرانية، ص496.

2- إبراهيم بن عبد الرّحمان الدميجي، المسيحية من التّوحيد إلى الوثنية، ص 18–19.

3- المرجع نفسه، ص 20.

للموحّدين باسم(الجمعية التّوحيدية لترقّي المعرفة المسيحية وممارسة الفضيلة عن طريق توزيع الكتب)[1].

ومن الطوائف نجد طائفة **شهود يهوه:** جماعة أسّسها **تشارلز رسل**(1852-1916م) سنة 1854م في مدينة أليفاني بالولايات المتحدّة الأمريكية الذي كان متمرّدًا على التّعاليم الكالفينة ودرس مبادئ جماعة السّبتيين واقتنع بها كما أقتنع بأفكار أريوس الذي أنكر لاهوت المسيح وهم ضد عقيدة الثّالوث وضد لاهوت الابن ولاهوت الرّوح القدس ويرون أنّ المسيح إله ولكن ليس الله بل إله وسيط وهذه أفكار أريوسية[2] سمّو بشهود يهوه نسبة إلى: **[أَنْتُمْ شُهُودِي، يَقُولُ الرَّبُّ]**[3].

الحركة السوسيانية أو فرقة التّوحيديين: يعود اسم الفرقة إلى لاهوتيين من عائلة إيطالية واحدة تدعى عائلة سوسيّني أو سوزيني أهمّ ما يميّز هذه الحركة هي إحياءها لعقيدة كانت الكنيسة قد اعتبرتها من القدم هرطقة وهي عقيدة وحدانية الآب في ذاته وأقنومه وشخصه ونفي ألوهية المسيح وبنوّته الحقيقية لله والقول ببنوّة تشريفية أو بالتبّني ونفي ألوهية الرّوح القدس كأقنوم منفصل عن الله وبالنّتيجة نفي عقيدة التّثليث وهذا سمّي أتباع السّوسيانية المخالفون أو المضادون للتّثليث[4].

في القرن التّاسع عشر ميلادي أُسّست في عدّة مناطق كنائس موحّدة واجتذبت شخصيات مهمّة وتكوّنت عام 1825م جمعية التّوحيد الأمريكي كما أضحت مدينة ليون الهولندية وجامعتها مركزًا للتّوحيد، وفي مطلع القرن العشرين تزايد الموحّدون وازداد نشاطهم وأثر بوجودهم ما يقارب 400كنيسة في بريطانيا ومستعمراتها ومثلها في الولايات المتّحدة الأمريكية، إضافة إلى كلّيتين لاهوتيتين تعلّمان التوحيد هما مانشيتر وأكسفورد في بريطانيا

1- محمد على البار، دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النّصرانية، ص497.

2- ماهر يونان عبد الله، الطّوائف المسيحية في مصر والعالم، تق: جرجس صبحي، المركز المصري، دط، 2001ن، ص234.

3- إشعيا43: 15.

4- سعد رستم، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتّى اليوم ، ص 169.

وكلّيتين في أمريكا إحداهما في شيكاغو والأخرى في بركي ببريطانيا، وما يقارب 160 كنيسة في المجر وغير ذلك في أوروبّا وفي عام 1921م عقد مؤتمر حضره عدد كبير من رجال الدّين في أكسفورد برئاسة الأسقف راشدل الذي قال في خطابه: **" إنّ قراءته للكتاب المقدّس لا تجعله يعتقد أنّ المسيح إلهًا وأما ما جاء في يوحنّا ممّا لم تذكره الأناجيل الأخرى فلا يمكن أن ينظر إليه على أنّه تاريخ حقيقي وأنّ كل ما قيل في ميلاد المسيح من عذراء وشفائه للأمراض وأنّ روحه سابقة للأجساد كلّ ذلك لا يدعو للقول بألوهيته"**، ثمّ أصدر ثمانية من علماء اللّاهوت في بريطانيا كتابًا سمّوه (المسيح ليس ابن الله) وقد أكّدوا ما جاء في الكتاب (أسطورة تجسّد الإله) الذي كتبه سبعة من علماء اللّاهوت سنة 1977م وذكرو فيه عدم عصمة الكتاب المقدّس وقالوا: **"إنّ إمكانية تحوّل الإنسان إلى إله لم تعد بالشّيء المعقول والمصدّق به في هذه الأيّام"**[(1)]، هذه أشهر فرق الموحّدين وأشهر دعاتها.

الموحّدون في الولايات المتّحدة الأمريكية:

التأسيس وأبرز الشّخصيات:

كان من بين المؤسسون الأوائل لأمريكا جمعٌ غفيرٌ من المهاجرين بدينهم –المتسمين باسم "الحجاج"– قد تحملوا مشقة الرّحلة الطويلة إلى بلاد نائية فرارًا من الحرب الدينية الضروس التي اجتاحت أوروبا لاسيما منذ ظهور الحركة الإصلاحية، وكان من بين المؤسسين مفكرون وساسة يؤمنون بالتسامح ويمقتون الاضطهاد بنفس المقدار الذي كان عليه مفكرو التنوير في أوروبا أو أكثر وهكذا أسسوا الدّولة الناشئة على مبدأ فصل الدّين عن الدولة، لكن بشكل يختلف عمّا هو الحال عليه في أوروبا، ففي فرنسا مثلًا كانت الثورة الفرنسية معادية للدّين وكان فصل الكنيسة عن الدولة إقصاءً للمتدينين، وسلبًا لمكانة الكنيسة، أمّا في أمريكا فقد جعلوه صيانةً للدين، وحفظًا لمكانة الكنائس وأتاحوا للمتديّنين الحرية في الانتماء إلى الكنيسة التّي يريدون، ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل تجاوزوه إلى الاتفاق على نفي أن تكون الدولة نصرانية رسميًّا وذلك أن المؤسسين الكبار كانوا يؤمنون بأفكار عصر التنوير وفلسفاته مع تفاوت بينهم في الالتزام الدّيني الشّخصي في الذّهاب إلى الكنائس أو الإنتساب إليها، إلا

1- إبراهيم بن عبد الرّحمان الدميجي، المسيحية من التّوحيد إلى الوثنية، ص 22- 24.

أن كنيسة واحدة فقط كان الانتماء إليها ينسجم مع الأفكار التنويرية وهي الكنيسة الموحدة بحيث يمكن القول: أنّه لو كان للحكومة النّاشئة أن تختار دينًا رسميًّا للدولة لما كان إلا دين الموحدين [1]وهذا ظاهر من استقراء عقائد الرؤساء الأوائل وعقائد المفكرين الأوائل مثل: **بنيامين فرانكلين، رالف أمرسن؛** ففي سنة (1785م) تحولت كنيسة الملك في بوسطن إلى كنيسة موحدة حيث قرر أعضاؤها حذف الألفاظ الدّالة على التثليث في الصلوات، ثم أسست كنيسة توحيدية في فيلادلفيا (سنة (1794م) وبعد ذلك حدث تحوُّل آخر مُهم وهو انتقال كنيسة الحجاج التي أسّست سنة (1620م) إلى كنيسة موحدة سنة 1802م، وتُوّجت هذه الأحداث بحدث يعدّ من أعظم الأحداث في التاريخ الديني النصراني وهو قيام الرئيس الأمريكي الثالث **توماس جيفرسن** بتأليف إنجيل جديد هذّب فيه الأناجيل المعروفة في نسخة منقحة محذوف منها كل ما يدل على التثليث كما حذف ما يدلّ على المعجزات وهنا يظهر عليه أثر عقلانية عصر التنوير، وفي سنة 1825م تأسّست المنظمة التوحدية في أمريكا، ثم أُسّس المجمع الوطني في سنة 1865م، ولم تزل الحركة في صعود مستمر لاسيما بين الطّبقة المثقفة حتى بلغ الذروة في تولي أحد الموحدين **وليام تافت (1857- 1930)** رئاسة الولايات المتحدة، وأعقب ذلك توليه رئاسة الموحّدية سنة (1917م) وآخر المشهورين من السياسيين الموحدين هو **أدلاي ستينفس** المرشح الرئاسي الذي كان وزيرًا في حكومة **جون كندي** الرئيس الكاثوليكي الوحيد للولايات المتحدة وقد توفي سنة (1965م)[2].

لقد كانت عقيدة التّوحيد موفّقة في اجتذاب بعض القادة المهيمنين لجانبها مثل: **وليم الرّي شاننج** (1780- 1742) راعي الكنيسة في بوسطن أنّ موعظته عن مسيحية التّوحيد التي وعظها في ماي 1819م في مناسبة رسامة القس **جارد سباركس** راعيًا لكنيسة الموحّدين في بلتيمور والذي صار فيما بعد مؤرّخًا ورئيسًا لجامعة هارفارد ليست فقط واحدة من أبرز البيانات عن عقائد الموحّدين بل إنّها كذلك واحدة من أعظم الوثائق الدّينية التي كتبت في

1-http://www.alhawali.com/main/8664-2-1.22:15 يوم 2018/12/10م، على السّاعة

2 -http://www.alhawali.com/main/8664-2-1.22:24 يوم 2018/12/10م على السّاعة

أمريكا[1] وكان له الفضل في تطوير وإرساء دعائم **الكنيسة التوحيدية Church Unitarian** في أمريكا و بريطانيا بفضل مواعظه البليغة وخطبه القويّة ومحاضراته القيّمة[2].

ويذكر أحمد عبد الوهّاب في كتابه طائفة الموحّدين من المسيحيين عبر القرون: أنّه باسترجاع مرحلة تأسيس أمريكا يجدر القول بأن المسلمين بسبب تخلّفهم الديني والحضاري حينئذٍ قد فوتوا فرصة عظيمة حيث كانت الدولة الأمريكية الناشئة مهيأة لاعتناق التوحيد الحقيقي والدخول في دين الإسلام، وإن شئت فقل: أنّه كان يمكن أن يكون للمسلمين مكانة كبرى في ذلك المجتمع الجديد لو أن الأمّة والدعوة في ذلك الحين كانت في حال أفضل، لقد كان اللّبراليون في القرن الثّامن عشر أريوسيين نذكر منهم **تشارلز شاونسي** (1705-1787) راعي كنيسة بوسطن الذي يتراسل مع الأريوسيين الإنجليز وكذلك القس **يوناثان ميهيو** الذي ناضل بشدّة ضد التّثليث، وفي القرن التّاسع عشر يستحوذ التّوحيد بالتّدريج على كثير من الوعّاظ في نيوإنجلند ويمتدّ تأثيره إلى الجنوب والغرب حيث تؤسّس كنائس توحيدية في بلتيمور ووشنطن وبفلور وأماكن أخرى[3].

الأفكار والمعتقدات:

- لا يعتقدون بأهم الأصول المسيحية الكنسية التي درجت الكنيسة منذ القرن الميلادي الثّالث على اعتبارها أسس وأركان الإيمان المسيحي، فلا يؤمن التّوحيديون بالتّثليث فمن هنا جاءت تسميتهم بالتّوحيدين Unitarians يرون أنّ الله واحد في شخصه وأقنومه، لا تعدّدية في ذاته.
- المسيح بشر محض حادث ومخلوق كسائر البشر ، فهم يتّفقون في مفهوم الألوهية ووحدانية الله مع اليهود والمسلمين تمامًا.

1- أحمد عبد الوهّاب، طائفة الموحّدين من المسيحيين عبر القرون، ص52.

2- سعد رستم، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتّى اليوم(دراسة تاريخية دينية سياسية اجتماعية)، ص113.

3- أحمد عبد الوهّاب، طائفة الموحّدين من المسيحيين عبر القرون، ص51- 52.

- لا يؤمنون بالتجسّد وهذا فرع طبيعي لنفيهم ألوهية السيّد المسيح، كما يرون عدم صحّة فكرة الفداء والكفّارة[1] وأنّ الحقيقة المزعومة عن أنّه يسوع مات من أجل خطايا البشر مرفوضة قطعًا لأنّ الاعتقاد في أنّ يسوع كان له هذه النتّيجة، إنّما يعني الطّعن في أخلاق الله، إنّ الله لا يجبّ أن يعرف عن طريق اللّعنة، بل عن طريق الحلم والحكمة والمحبّة[2].
- أنّ الموحّدين ينظرون إلى يسوع باعتباره واحدًا من قادة الأخلاق الفاضلة للبشر، ولو كان إلهًا فإنّ المثل الذي ضربه بعيشته على الأرض يفقد كل ذرّة من القيمة، حيث أنّه يملك قوى لا يملكها البشر، وأن الإنسان لا يستطيع تقليد الله[3].
- أنّ عقيدة الخطيئة الأصلية التي تولد مع كل إنسان والتي اقتضت حسب عقيدة المسيحية دم المسيح ليسفك على الصّليب لتكفيرها ومصالحة الإنسان مع الله عقيدة مخترعة، ولا أساس لها من الصّحة.
- لا يؤمنون بعقاب النّار الأبدي بلا نهاية للأشرار الخاطئين، ويعتبرون كل العقائد التي تبنّتها الكنيسة المسيحية التاريخية: من التّثليث، والتجسّد والصّلب والفداء والكفّارة، عقائد دخيلة على رسالة المسيح، لا تؤيّدها نصوص الكتاب المقدّس الأصلية.
- أنّ الإنسان صالح بالفطرة رغم أنّه يخطئ ويقع في الخطأ وأنّ العقيدة الدّينية يجب أن يكون الغرض منها هو العمل على حفظ الإنسان
- التّوحيديون يحيون العشاء السّري لا كطقس سرّي بل كتذكّر ومشاركة روحية مع نبيّهم السيّد المسيح، قبيل وفاته.
- يقبلون تعميد الأطفال رغم أنّ بعض كنائس التّوحيديين تحصر التّعميد للبالغين فقط.

---

(1)سعد رستم، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتّى اليوم(دراسة تاريخية دينية سياسية اجتماعية)، ص 306.

(2)أحمد عبد الوهّاب، طائفة الموحّدين من المسيحيين عبر القرون، ص38-39.

(3)المرجع نفسه، ص39.

- كانت أهم ملامح الفكر التّوحيدي الأمريكي اعتناقهم العقيدة الأريوسية في شأن المسيح وإيمانهم بحجّية الكتاب المقدّس مع التّعويل على التّفسير العقلي لنصوصه والنّظرة التّفاؤلية لطبيعة الأنسان [1].

التعداد والانتشار:

إنّ هذه الفرقة كتجمّع كنسي هي الأكثر ضالة من حيث عدد الأتباع، فلا يتجاوز عدد أتباعها مائتين إلى ثلاث مائة ألف في القارة الأمريكية، ومثلهم في أوروبا، وليست كنيستهم واسعة الانتشار، أي ليس لها صفة العالمية، بل ينحصر وجودها في عدد محدود من البلدان الأوربية هي رومانية، هنغاريا والمملكة المتّحدة (انجلترا) وفي الولايات المتحّدة وكندا في القارة الأمريكية، وتواجدها الرّئيسي اليوم هو في الولايات المتّحدة الأمريكية، وغالبية أتباعها هناك من الطّبقة المتوسّطة فما فوق، ومن المتعلّمين ذوي الثّقافة العالية في الغالب، ولكن هذا لا يعني أنّ نفس أفكار التّوحيديين قليلة الانتشار، بل توجد أعداد كبيرة من بين المسيحيين المثقّفين العصرانيين ممّن يحملون نفس الأفكار دون أن ينتظموا بالضّرورة تحت لواء الكنيسية التّوحيدية أو الجمعيات التّوحيدية الشّمول[2] ، نمّو التّوحيد كان بطيئًا إلّا أنّ آخر الإحصائيات تقدّر عدد كنائس الموحّدين يبلغ 370 كنيسة، وتوجد مدرستان أنشأهما الموّحدون لتعليم رجال الدّين أحدهما في شيكاغو والأخرى في بركلي بكاليفورنيا[3] وهم منجمٌ خصبٌ للدعوة إلى الله، وسيظل هؤلاء جميعًا برهانا ساطعًا على أن الإسلام هو دين الفطرة، وأن وعد الله تعالى بإظهاره حق[4] قال تعالى: **(وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)**[5].

علاقة التّوحيديين بالأديان الأخرى: تعدّ هذه الفرقة فرقة عقلانية وليبرالية (أي منفتحة ومتحرّرة) جدًّا في فكرها خاصة في العقود الأخيرة، بحيث أصبحت ترى جميع الأديان العالمية

1- سعد رستم، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام، 306-307-314.

2- المرجع نفسه، 307.

3- أحمد عبد الوهّاب، طائفة الموحّدين من المسيحيين عبر القرون، ص53.

4 -http://www.alhawali.com .37 :00 يوم 12/10/ 2018م على الساعة

5- سورة يوسف: 21.

بما في ذلك الإسلام أديان حقّة تكتنز في داخلها وجوهرها الحقيقة التي توصل الإنسان إلى الله(1).

خاتمة:

من خلال هذا البحث الموجز عن مسيرة التّوحيدين في التّاريخ المسيحي نستخلص أنّ آريوس لم يكن الوحيد الذي قال بتوحيد الله ونفى ألوهية المسيح بل كان قبله جمع غفير وأوّلهم تلاميذ المسيح، وبعده جمع آخر من بينهم أباء الكنيسة وأباطرة ورؤساء عظام، فرغم محاولة المثّلثين إطفاء نور التّوحيد إلّا أنّه في كل عصر يظهر أشخاص لا يتقبّلون التّثليث وينادون بالتّوحيد ويرفضون تأليه المسيح –وتقول دائرة معارف لاوس الفرنسية: (عقيدة التثليث وإن لم تكن موجودة في كتب العهد الجديد ولا في عمل الآباء الرسوليين ولا عند تلاميذهم المقربين إلا أن الكنيسة الكاثوليكية والمذهب البروتستانتي يدعيان أن عقيدة التثليث كانت مقبولة عند المسيحيين في كل زمان...إن عقيدة إنسانية عيسى كانت غالبة طيلة مدة تكون الكنيسة الأولى من اليهود المتنصرين، فإن النّاصريين سكان مدينة الناصرة وجميع الفرق النصرانية التي تكوّنت عن اليهودية اعتقدت بأن عيسى إنسان بحت مؤيد بالروح القدس، وما كان أحد يتهمهم أنداك بأنّهم مبتدعون وملحدون، فكان في القرن الثاني مبتدعون وملحدون، فكان في القرن الثاني مؤمنون يعتقدون أن عيسى هو المسيح، ويعتبرونه إنساناً بحتاً... وحدث بعد ذلك أنّه كلّما ازداد عدد من تنصر من الوثنيين ظهرت عقائد لم تكن موجودة من قبل). وتؤكد الموسوعة الكاثوليكية الحديثة: "إن صياغة الإله الواحد في ثلاثة أشخاص لم تنشأ موطدة وممكنة في حياة المسيحيين وعقيدة إيمانهم قبل نهاية القرن الرابع"(2).

والخلاصة أنّ فكرة نفي ألوهية المسيح ليست أمرًا حديثًا في تاريخ المسيحية بل يمثّل في الواقع استمرار لخط مسيحي قديم جدًا يرجع في أصوله إلى تلاميذ المسيح واستمرّ في

1- سعد رستم، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتّى اليوم(دراسة تاريخية دينية سياسية اجتماعية)، الأوائل، سورية-دمشق-، ط2، 2005م، ص306.

2 -http://www.ebnmaryam.com/vb/t182161.html على 2018م، 12/ 10/ يوم: الساعة01:01.

جميع العصور، فلم يكد يخل عصر من تاريخ المسيحية من أشخاص وأساقفة ولاهوتيين آمنوا ونادوا ونافحوا عن الوحدانية المحضة لله نافين عقيدة التّثليث وتأليه المسيح لأنّهم يرون أنّه لا يوجد في الكتاب المقدّس ما يدل على ذلك.

قائمة المصادر والمراجع

الكتب المقدّسة

القرآن

الكتاب المقدّس (العهد القديم والعهد الجديد).

1- إبراهيم بن عبد الرّحمان الدميجي، المسيحية من التّوحيد إلى الوثنية، سلسلة: (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء)، دط، 1433هـ.

2- أحمد عبد الوهّاب، طائفة الموحّدين من المسيحيين عبر القرون، مكتبة وهبة-دار التّضامن-، ط1، 1980م .

3- رأفت عبد الحميد، الدّولة والكنيسة،(قسطنطين) ج1، 1974م.

4- رمسيس عوض، الهرطقة في الغرب، سينا، القاهرة، ط1، 1997م.

5- سلطان عبد الحميد سلطان، المجامع النّصرانية ودورها في تحريف المسيحية، مطبعة الأمانة، القاهرة، ط1، 1990.

6- كيرلس الأنطوني، عصر المجامع(دراسة علمية وثائقية للمجامع المسكونية الكبرى الأربعة)، تن: ميخائيل مكسى إسكندر، مكتبة المحبّة، مصر، ط1، 2002م.

7- ماهر يونان عبد الله، الطّوائف المسيحية في مصر والعالم، تق: جرجس صبحي، المركز المصري، دط، 2001.

8- محمد أحمد الحاج، النّصرانية من التّوحيد إلى التّثليث، القلم، دمشق، ط1، 1992م.

9- محمد عطا الرّحيم، عيسى المسيح والتّوحيد(عرض تاريخي للمسيحية والأناجيل والموحّدين المسيحيين الأوائل والأواخر)، تر:عادل حامد محمد، دط، مركز الحضارة العربية، دس.

10- منقذ بن محمود السقار، الله جلّ جلاله واحد أم ثلاثة،(سلسة الهدى والنّور) مكة المكرّمة، دط، 1424هـ.

11- ول ديورانت، قصّة الحضارة(الإصلاح الدّيني)،ت: عبد الحميد يونس،دار الجيل، بيروت،دس، ج24.

12- يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، تر: مرقس داود، القاهرة، ط2، 1979م.

المواقع الإلكترونية

- http://www.alhawali.com/main/8664-2-1.
- http://www.alhawali.com.
- http://www.ebnmaryam.com/vb/t182161.html.
- http://www.ebnmaryam.com/vb/t182161.html.